ومدّه وقصره ونحو هذا.. وإذا رأيتَ ثَمَّ رأيتَ وجهاً منيراً، وسمتاً مريحاً، وإلفاً محبوباً!.. ما كان مثلُ هذا ليكون إلا شهيداً..

ولقد شاء الله ألّا يكون استشهاده آخر فضائله علي.. فلقد أرسلتْ زوجُه الكريمة -أفرغ الله على قلبها السكينة والرضا- تقول: «كان يحب الشيخ محمد الهامي، فأخبروه أن يدعو له!!»، فيا لله، كيف أدعو أنا لمن كان غاية أملي أن أُرزق شفاعته من بين سبعين؟!!، ثم وصلني بعد ذلك فرحته وثناؤه حين علم بأني سأكتب المقدمة لكتابه.. ومضى قبل أن يعلم أنَّ فرحتي بذلك أعظم وأشد.. وذلك هو الأليق والأكرم، فإنَّما يسعد مثلي ويشرُف بأن يخدم مجاهداً في أشرف معركة!!

هذا عن الشهيد وفضله عليّ.. وبقيتْ كلمةٌ في شأن الكتاب نفسه!، وهي أنَّه مهما تابعنا الأخبار وحرصنا عليها، فإنَّ القائم في قلب المعركة يعرف منها ما لا نعرف، ويرى فيها ما لسنا نراه..

لمَّا قرأتُ الكتاب، وقد قرأتُه مرتين، كان أشدَّ ما لفتَ نظري كلمتُه هذه: «لم يُقْتَل أحدٌ من المجاهدين في كتيبتنا جراء الاشتباك مع قوات العدو الراجلة، كلُّ شهدائنا العِظام ارتقَوا إلى الله بسبب القصف الجوي»، وصاحبنا الشهيد نفسه قد قضى أيضا بالطيران..ومعضلة الطيران هذه لا بُدَّ أن تكون على رأس أولويات العاملين المخلصين في أمتنا، كلٌّ في مجاله وفي ثغره.. ولو قد كان بيدي أمرُ هذه الأمة، فلربما جعلتُ نصف مقدَّراتها لحلِّ هذه المعضلة وحدَها، فمعضلةُ الطيران هذه هي التي تسببَّتْ في هزائمنا طُوال هذا القرن الماضي، ولو تخيلنا تاريخ هذه الأمة المعاصر والمعارك التي نشبت فيها، وحذفنا منها الطيران لكُنَّا الآن نكتبُ تاريخاً آخر تماماً!.